رغم التفاؤل بالخير نتيجة تخفيف الإجراءات العسكرية. وهو إذ يؤكد خضوع المخيم للقوانين اللبنانية، لكنه انطلاقاً من كون البارد يقع ضمن الأراضي اللبنانية، لماذا الإصرار على تعريض سوق المخيم لإجراءات غير مطبقة في سائر المناطق اللبنانية. فهل ينبغي لمن يدخل سوقاً آخر إبراز بطاقته وتفتيش سيارته؟ وكيف تكون المعاملة بالمثل إذا كانت السيارات المخالفة والدراجات النارية غير القانونية تصول وتجول في عكار وغيرها، بينما توقَف على مدخل المخيم؟

مسألة فيها نظر

بيني وبينك زقاق وهوية

كتبت يا صديقي عن شعورك بالغبن في وطنك، وتساءلت: بماذا تفرق عن اللاجئين الموجودين فيه؟. بعد تفكير طويل اعتقد انك انت أيضاً لاجئ في وطنك. لكنك يا صديقي على الأقل تملك وطناً ليظلمك. أما انا..

قاسم س. قاسم

كتبت منذ اسبوعين عن معاناتك كلبناني في وطنك. سألت بماذا يختلف وضعك الاجتماعي والاقتصادي عن اللاجئين الفلسطينيين الموجودين في «ضيافتكم»؟ اعتبرت ان اصعب شعور هو الاحساس بانك لاجئ في وطنك، وهذا صحيح، ونحن اكثر من يعرف ذلك.

لا زلت أذكر عندما دخلنا في احدى المرات الى مخيم برج البراجنة معاً. حينها كانت الكهرباء كعادتها مقطوعة، كما علينا جميعا. سرنا في الازقة، قادتنا اقدامنا للدخول الى اضيقها. كانت الاسلاك الكهربائية تتدلى فوقنا. لامس بعضها رؤوسنا، وبالطبع حمدنا لله ان الكهرباء كانت مقطوعة، فكما تعلم، يموت سنوياً ما معدله عشرة اشخاص في كل مخيم نتيجة صعقات كهربائية، بسبب «تزاوج» إمدادات الماء واسلاك الكهرباء في فضاءات مخيماتنا. حينها قلت لي «كيف استطعتم البقاء في هذه البيئة لمدة 64 عاماً، من المفترض ان تكونوا جميعكم امواتاً، ففي هذا المكان لا يستطيع اي كائن حي البقاء». ثم صمتّ قليلاً وقلت: «ربما اصبحت مناعتكم اقوى منا نحن اللبنانيين» قاصدا بسبب الصراع القوي على البقاء برغم الظروف الرهيبة. فإن كنا نشبه بعضنا بالمعاناة لدرجة انك تساءلت: بم نفرق عن بعضنا؟ فما الفرق اذاً؟

أما عن الفرق بيني وبينك يا صديقي، فهو انك تملك وطناً تقول انك تشبه اللاجئ فيه. اي انك بالأصل تملك وطنا، تنتقده وتنتقد معاملته لك كلاجئ، فماذا عن اللاجئ الحقيقي في وطنك؟ اي نحن؟ فإن كان المواطن يعامل هكذا، فماذا عن «الضيوف»؟ لديك وطن، تحلم بإصلاحه وبنائه والموت دفاعاً عنه، اما انا فبلادي تقبع تحت الاحتلال، ومن هم في السلطة هناك، اكتفوا بمساحة كراسيهم لتحريرها، متناسين ملايين اللاجئين في الشتات والمخيمات.

يا صديقي، وكما تعرف جيداً، لأنني شكوت لك مرات عدة قرف ما اعانيه إذ احمل بطاقة زرقاء، ان منزلي الذي تربيت فيه، حتى منزلي، وهو باسم والدتي، لا استطيع ان ارثه عنها إذا توفيت، بعد عمر طويل، بل سيتحول الى الاوقاف الاسلامية. الفرق بيني وبينك يا صديقي، انك، بعد عمر طويل، قد يحق لك ان تدفن فوق والدك رحمه الله. لكن تصور أن ادفن في جبانة المخيم، لأني فلسطيني لا يحق لي ان احمل جنسية امي، بينما تدفن هي في جبانة مخصصة للبنانيين. حتى في الموت يريدون لنا ان نتشتت.

صديقي، استطيع تفهم وجعك، واشعر بكل كلمة قلتها. فالفقراء اينما كانوا هم أنفسهم، ووجعهم وهمومهم هي نفسها، فكما يقول زياد الرحباني «المعتر بكل الارض دايماً هوي ذاتو». ونحن الفقراء، أكثر من يعرف ماذا تعني مفردة وطن، ملاذنا الوحيد. ونحن الفقراء اكثر من يشعر بالانتماء لاوطاننا، اذ اننا نعاني مرضاً مزمناً هو امل تحويلها الى جنة لاحلامنا. ونحن الفقراء اذا تعرضت اوطاننا لاحتلال، أكثر من يستميت دفاعاً عنها وسعيا لتحريرها. اما الاغنياء فكل ما يفعلونه هو الجلوس على مؤخراتهم الكبيرة في انتظار موتنا، واذا متنا تبرأوا من «جنوننا»، واذا انتصرنا يشككون في انتصاراتنا.

نحن وانتم ابناء المعاناة نفسها. والفقراء هم أكثر من يستطيعون الشعور بآلام بعضهم. نحن الفقراء اذا ابتسمنا فإن الله وملائكته يبتسمون لابتسامتنا. وبحال بكينا فبكاؤنا يخرج من قاع صدورنا ودموعنا هي غسول لارواحنا التي انهكتها مشقات الحياة. في النهاية، ما الفرق بين حي «الرمل العالي» والمخيم الملاصق لمنزلك؟ لا شيء، مجرد زقاق وهوية. صديقي، ما يجمعنا هو الحلم بأن يكون لدينا اوطان تتسع لأحلامنا.

وفي النهاية، كما قال شهيد فلسطين الاول، نبي الله عيسى ابن مريم: «طوبى للفقراء بالروح فإن لهم ملكوت السماوات». اما الارض.. فذلك حديث آخر.

> **أنت «تشبه اللاجئ» فماذا عن اللاجئ الحقيقي**

● بعدسة اهلها ●

كأنها قناديل الف ليلة وليلة تلك التي تنتظر ليلة العيد لتضاء. يلعب الصبي الغزاوي بينها، ينظر الى فوق وعيونه معلقة بهذه البهجة التي بمتناول اليد ذات الباع القصير. فرحة من الوان، تعيد الابتسامة للفسحة العامة، وتوحّد المنتظرين بهجة عيد الفطر. شكراً لجمهورية الصين الشعبية.
الصورة لشعيب ابو جهل من غزة

إن كان قد مات أو لم يمت. قلت لصديقي إنه مات. أجاب لم يمت. ألم ترَ أن سقوطه كان كما دمية تسقط بشكل عبثي دون قرار بسقوطها؟ قال صديقي إنهم يرمون بأجسادهم حتى لا يصطادهم ذاك الطاغية الذي كان يقف أمامنا. عمّ المكان صمت، وكسرت ذلك الصمتَ كلمات تعودنا منذ الصباح سماعها حين يسقط الشيء ويوضع على حمالة لونها برتقالي، ومن بعدها يركب التابوت ويرحل.

عُلّق حبل في السماء. لا أدري إن رُبط بغيمة... اصطففنا نشاهد الفيلم. تسمّرت أعيننا بالأشياء التي تحوم عند الخندق ومشاعرنا انتحرت بحبل السماء. كنا نموت عندما ينده طفل، لست واثقاً من أنه طفل... الأطفال لا يقنصون. لربما أقول: كنا نموت عندما ينده الشيء من عند المصيدة، صوته يشبه صوت الأطفال، ودمه أحمر كما كان لون دمنا.

* التي صنعها الاحتلال على مشارف مجدل شمس لصيد الفلسطينيين

رسائل: صبابة و حنظلة

في بيتنا جندي

لا توجد طريقة لأبدأ بها الحديث؛ فالحقيقة هذه المرة لا تحتمل الشرح: جندي يسكن حارتي!

كان مفترضاً أن يكون يوماً سعيداً: بدأت عملاً جديداً، مساعدةَ محرر في مجلة «مالكم»، وهي المجلة الاقتصادية العربية الوحيدة في البلاد. كان يومي الأول، وكدت أطير فرحاً، إلى أن رأيت ذاك الجندي الذي كان يستقل الباص العائد إلى مدينتي، فارتميت مصدومة في مقعدي!

حادثتُ صديقتي في عمّان عبر هاتفي الجوال وأنا في الباص، قلت لها إن هناك جندياً عائداً معي في الباص المتجه نحو «طمرة»، لا بد وأنه سينزل في أي محطة قبل أن يدخل الباص البلد، لكنه لم يفعل. أكدت لها أنه سينزل بعدما يخرج الباص من البلد، إلا أنه لم يفعل. لا، لقد نزل معي في المحطة ذاتها، أي في حارتي!

لم يسلك الشارع نفسه، انعطف نحو الحارة المجاورة. كانت صديقتي لا تزال على الخط. أخبرتها أنه نزل معي، فسألتني إن كان عربياً، وأجبتها بأنه يظهر عليه أنه من البلد، أو أنه يعرفها جيداً؛ فهو لم يسأل ولم يتردد في سَلْك الطريق، كذلك فإن ملامحه عربية. أجابتني: إذاً هو خائن! تذكرت أني رأيته سابقاً يستقل الباص من المحطة التي نزلت ونزل فيها (لم ننزل معاً؛ فأنا نزلت في وطني، وهو نزل كأيّ محتل آخر)، وتذكرت أنه ذات يوم من محطة أخرى استقل الباص جندي آخر، أيضاً داخل البلد، وجلس إلى جانبي، فقمت وغيّرت مكاني، وتذكرت تلك الشرطية التي لطالما رأيتها ترتدي زي الشرطة الإسرائيلية وتحمل مسدسها وتنزل من الباص في المحطة التي تسبق مكان نزولي. عندما تعافيت من صدمتي، تراءت لي حقائق أخرى كنت أغفل عنها عمداً، مثلاً أن عدد المتقدمين للخدمة المدنية في المؤسسات الحكومية الإسرائيلية في مدينتي وعدد المتقدمين طوعاً للخدمة العسكرية في جيش الاحتلال من مدينتي يتزايد، وأنهم صاروا يزيدون على أصابع اليدين، كذلك فإنهم باتوا أجرأ بالعودة إلى المدينة بلباسهم العسكري. وفكرت: كم تعامينا عن الحقيقة، وكم تجاهلناها!

طالما كنت أرى «طمرة» على أنها مكاني «المقدس»؛ فهي جليلية جليلة، ومن جبلها الصغير تستطيع أن ترى حيفا وعكا والبحر، فهي تقع على سفوح أحد مرتفعات الجليل الأسفل الذي لم أعرف إلى اليوم إن كان جبلاً أو تلاً، ولا أدري له اسماً إلا ما يسميه به أهل البلد «الصنيبعة»، وهو المكان الذي لجأ إليه أهل البلد حين دخل الصهاينة واحتلوا البلد. حضنهم واحداً واحداً، ومنه عادوا إليها غير قادرين على السفر بعيداً نحو المجهول، هذا المرتفع الأخضر الذي قال عنه سفير فرنسا ذات يوم حين زاره إنه قطعة مهملة من الجنة، كنت أسميه أنا قطعة من جنة مسلوبة اسمها فلسطين.

وبكيتُ... لا لأني لم أرَ جنوداً في طمرة سابقاً، لكن الجنود الذين رأيتهم يجوبون حارات المدينة في صغري، كانوا صهاينة ولم يكونوا يتحدثون بالعربية، كانوا يقومون بدوريات استطلاعية ثم يذهبون. نعم بكيتُ، فقد دنسوا «طمرة»، مدينتي المقدسة الأخيرة!

أنهار حجازي _ طمرة

الطريق إلى كندا

في سفري هذا من غزة إلى كندا، كان الموت يُرافقني على حذر. أنتظر لتُخرجني حماس من «معبريها»: واحد يُسمى صالة أبو يوسف النجار، والآخر معبر رفح. طريقين للعذاب، لتكتمل بهما صالة الانتظار المصرية: «لو سمحت، نحن هنا منذ ساعتين. إلى متى؟».

وجه ساخر يردّ: «هل لديك عمل آخر؟ عودي إلى كرسيكِ. هيا!». نعم، شعرت بالإذلال، في هذه الصالة تحديداً كرهت كل ما يتميز به المصريون، تحديداً لكنتهم!

هل كان الجندي العربي المُتصهين كل مأساتك؟ على الأقل أنتِ انحصر أعدائكِ بالجنود الإسرائيليين المستوطنين، العرب المُتصهينين! نحن في غزة لم نعد نعرف العدد الحقيقي لأعدائنا، هل هم إخواننا الذين يعيشون في نفس الدائرة؟ «نفس الحصار»؟ هل هم المصريون الذين يدعوننا «المخرِّبين» أم العرب؟ هل هم عنصريو الغرب؟ أم اليهود الذين يسيرون بجانبك في الشوارع، المحالّ، الباصات، الأماكن العامة والخاصة في كندا؟

أمر مُحزن أن تكوني مُحاطة بكل الرافضين لكِ: لحجابكِ ولكونكِ فلسطينية. وهذه الأخيرة هي الأشد إثارة للرفض على الإطلاق. كما لو أن هناك لافتة يراها الكل عداكِ مكتوباً عليها «فلسطيني ممنوع تعيش!»، كما قالها الشاعر بلال عبد الله. في كل البلاد التي تنادي باحترام الحريَّات، ثمة الكثير ممن لا يكترث لحريّتكِ، لكونكِ أنتِ أنتِ.

من مطار إلى مطار، كنت وما زلتُ وحيدة، تحبسني غزة في داخلها، كلعنة لاذعة جميلة. تقول لك: أينما ولَّيت فأنا باقية في داخلك، وبصمت تود لو تُدير ظهرك وتعود. بالرغم من أمنيات التغريب التي وضعتها تحت وسادتك طويلاً حين كنت لا أزال هناك فيها!

أماني شنينو ـ غزة ـ كندا